



قال لي: "ماذا تفعلون في جنيف؟ إنكم تعاملون مع مجموعة بشرية لا ترقى إلى مواصفات العصابة، لأن العصابة، على الأقل، تنتظم ضمن ضوابط معينة. هؤلاء لا يعرفون إلا القتل والدمير منهجاً؛ والقوة لغة؛ هؤلاء يأخذون سورية رهينة لعقود من الزمن؛ وما إن سمعوا أو رأوا من يخالفهم حتى تحولوا إلى وحش تدمر البشر والحجر، أو تكون تحت هيمنتهم. أي سياسة وأي دبلوماسية تريدون أن تستخدموها مع خلائق من هذا النوع؟"

صورة سوداوية رسمها هذا الصديق وكان محقا بكل كلمة قالها؛ ولكن عالمنا اختلت معايره، فما عادت أي قوانين أو أي ضوابط تحكم مجرياته: حفرة في طريق تسببت بها الأمطار الكثيفة كفيلة بإسقاط حكومة في زاوية من هذه الكرة الأرضية تحترم نفسها وتحترم الإنسانية وقوانينها. وارتكاب جرائم لخمس سنين متواصلة لم تولد حتى الآن حالة لردع المجرم. فأي خيار بقي أمام عشرة ملايين إنسان تدمرت بلادهم واقتلونها منها وهاموا في باقى الأرض؛ والكل يدبر ظهره وكأنهم الوباء؟!

من نصب نفسه صديقا لهؤلاء يدفع من تصدى للحديث باسم الملايين باتجاه مفاوضات مع القاتل؛ ويراهما الحل الأمثل والوحيد لاستعادة الحياة في بلد في العناية المشددة لكل هذا الوقت. مبعوث دولي يتراقص بين وفد وآخر خشية أن تلتقي الوجوه والعيون: وجوه وعيون القاتل والمقتول.

يطلق رئيس وفد عصابة القتل عبارة "وفود المعارضة" فيكون هذا المبعوث الدولي قد هيأ ما يتناغم مع طرحه عبر دعوته لوفود سورية ترى في نفسها ممثلة للشعب السوري. ما إن تستمع إلى أطروحتها حتى ترى نفسك تستمع إلى أطروحة النظام الظاهرة أو الخفية.

تترافق الوفود الأوراق والوثائق التي تحدد المبادئ أو الأسس أو الأطر أو المحددات أو البنود أو المواد المراد الاتفاق عليها. ماتريده العصابة أكل طيب لها وسم زعاف لوفد المعارضة؛ والعكس صحيح.

تريد المعارضة انتقالا سياسيا بصلاحيات كاملة، ولا وجود لانتقال سياسي في قاموس العصابة. أقصى ما يمكن أن تقدمه: "وزارة موسعة" وتحت سيادة "الرئيس" الخط الأحمر.

يطمئن مثل السيد أوباما في جنيف السيد "مايكل راتني" المعارضة ويصر على ماتصر عليه؛ وعندما يُسأل عن موقف

سيده، يقف حائرا يتلعثم ويتكلم. مجموعة "الرديدة" الأوربيين والعرب الذين اكتسبوا اسم "أصدقاء سوريا" ترتفع أصواتهم، ولكن لا تخرج من غرفة الاجتماع.

يعلن بوتن مع بداية ما سمي بالمفاوضات "انسحاب" قواته من سوريا. تستبشر خيرا بأن فرصة الحل أصبحت وشيكـة، فالنصف سيتوقف وحـمـمـ نـار طـائـراتـ بوـتنـ ستـنـتهـيـ، وـتـخـتـمـ "المـفـاـوضـاتـ" بما سـمـاهـ النـظـامـ استـعادـةـ تـدـمـرـ لـتـكـشـفـ أنـ بوـتنـ أـرـادـ أنـ يـمـنـحـ "شرفـ التـحرـيرـ" للـعـصـابـةـ الـتيـ هـبـ لـنـجـدـتـهاـ وـلـاـ يـرـيدـهـ لـنـفـسـهـ. وـسـرـعـانـ مـاـ تـكـتـشـفـ أنـ سـيـطـرـةـ دـاعـشـ عـلـىـ تـدـمـرـ كـانـ استـلـامـاـ وـتـسـلـيمـاـ؛ وـخـرـوجـهـ مـنـهـ كـانـ أـيـضـاـ استـلـامـاـ وـتـسـلـيمـاـ.

تعود لـتـذـكـرـ ماـ قالـهـ لـكـ الصـدـيقـ بـأـنـ هـؤـلـاءـ لـاـ يـرـتـقـونـ حـتـىـ إـلـىـ مواـصـفـاتـ الـعـصـابـةـ وـلـاـ يـفـيـدـ مـعـهـمـ إـلـاـ القـوـةـ؛ وـسـرـعـانـ مـاـ تـذـكـرـ أـيـضـاـ أـنـ المـبـعـوتـ الدـولـيـ دـيـ مـسـتـورـاـ قدـ حـدـدـ جـوـلـةـ جـدـيـدـةـ مـنـ المـسـرـحـيـةـ الـهـزـلـيـةـ فـيـ التـاسـعـ مـنـ نـيـسـانـ "أـبـرـيلـ"؛ وـكـانـ قدـ أـخـبـرـكـ موـارـيـةـ أـنـ وـفـدـ الـعـصـابـ يـمـكـنـ أـنـ يـتـاـخـرـ حـتـىـ الـرـابـعـ عـشـرـ مـنـهـ بـعـدـ أـنـ يـكـوـنـ قدـ أـدـىـ "وـاجـهـ الـاـنـتـخـابـيـ" فـيـ اـنـتـخـابـاتـ مـجـلـسـ الشـعـبـ "لـلـجـمـهـوريـةـ الـعـرـبـيـةـ السـوـرـيـةـ".

أـنـتـ تـعـرـفـ وـالـكـلـ يـعـرـفـ أـنـ هـذـاـ نـسـفـاـ لـلـمـرـجـعـيـةـ الـفـانـوـنـيـةـ الـتـيـ تـعـقـدـ الـاجـتمـاعـاتـ بـمـوـجـبـهـاـ فـيـ جـنـيفـ. دـيـ مـسـتـورـاـ هوـ الـأـعـلـمـ بـذـلـكـ وـلـكـنـهـ يـجـيـزـهـ وـيـمـرـرـهـ موـارـيـةـ تـحـتـ يـافـطـةـ "سـتـبـدـاـ المـفـاـوضـاتـ بـمـنـ حـضـرـ" يـغـوـصـ الـبعـضـ بـتـعـقـيـدـاتـ وـأـفـكـارـ وـقـانـونـيـةـ الـمـوـادـ الـتـيـ تـتـضـمـنـهـ الـوـثـائـقـ الـتـيـ تـتـرـاقـصـ بـأـيـدـيـ الـحاـويـ دـيـ مـسـتـورـاـ، وـلـكـنـ يـتـحـولـ هـذـاـ الغـوـصـ إـلـىـ حـالـةـ عـبـيـةـ؛ فـأـنـتـ تـقـرأـ مـزـامـيـرـاـ عـلـىـ عـصـابـةـ.

خـمـسـةـ أـعـوـامـ مـنـ النـزـفـ الـمـسـتـمرـ وـالـهـولـكـوـسـتـ الـفـرـيـدـ مـنـ نـوـعـهـ فـيـ التـارـيـخـ الـبـشـريـ وـلـاـ لـحـظـةـ جـادـةـ فـيـ وـضـعـ حـدـ للـمـاسـاةـ. هـنـاكـ حلـ وـاحـدـ اـسـمـهـ "الفـصـلـ السـابـعـ" وـلـاـ شـيـ غـيرـهـ.

مضـىـ عـلـىـ هـذـاـ الـإـسـتـحـقـاقـ سـنـوـاتـ، وـتـحـديـداـ مـنـذـ أـوـلـ مـجـزـرـةـ اـرـتكـبـهـاـ "الـنـظـامـ" بـحـقـ شـعـبـهـ؛ وـهـنـاكـ مـنـ يـحـولـ دونـ التـنـفـيـذـ. مـتـىـ سـيـكـونـ؟ هـذـاـ هـوـ السـؤـالـ وـالـجـوابـ وـالـمـفـاـوضـاتـ وـالـحلـ.

كلنا شركاء

المصادر: